التجديد في الشعر المهجري

لم يقتصر التجديد الشعري على الانتماء القطري بشكله المعروف جغرافيا،بل امتد إلى خارج المنطقة العربية من خلال ما اضطلع به شعراء المهجر بعيدا عن الأهل والخلان والذين أسسوا تكتلات أدبية تسهيلا لأعمالهم

مفهوم الأدب المهجري:

يعرف شعر المهجر والأدب المهجري بأنه كل ذلك الإنتاج الشعري والأدبي والفني الذي أطلقه عدد من شعراء والأدباء والفنانين العرب وخاصة اللبنانيين في قارتي أمريكا الشمالية والجنوبية؛ حيث أُجبروا بسبب ظروف بلادهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الشام إلى الهجرة مكرهين مضطرين إلى الأمريكيتين في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين حيث قاموا بتكوين روابط، وجمعيات أدبية، والتي كان أبرزها، العصبة الأندلسية، الرابطة القلمية.

وقد ظهرت نتيجة هجرة بعض المثقفين وأدباء الرابطة القلمية في ما يسمى بالمهجر الشمالي، والعصبة الأندلسية في الجنوبي.

الرابطة القلمية:

بدأت فكرة الرابطة القلمية عام 1916 وتأسست رسميا عام 1920 في نيويورك على يد نخبة من الأدباء برئاسة جبران خليل جبران ومساعدة ميخائيل نعيمة ومشاركة نسيب عريضة ورشيد أيوب وعبد المسيح حداد وندرة حداد أمين وإيليا أبو ماضي ووعيد باحوط وإلياس عطا الله. وقام أعضاءها بنشر الجرائد والصحف العربية في بلاد المهجر ومنها:

- مجلة "الفنون" وتعنى بالأدب وناشرها كان نسيب عريضة.
- جريدة "السائح" وتعنى بشؤون المهاجرين وناشرها كان عبد المسيح حداد.
- مجلة "السمير" وناشرها كان إيليا أبو ماضي وتُعنى بشؤون العرب في أمريكا.

وتوقفت هذه المجلات بسبب موت بعض أعضائها الفاعلين بداية بجبران، وقد كان أكثر الناشطين: جبران خليل جبران، ومخائييل نعيمة، و إيليا أبو ماضي، ونسيب عريضة، وهؤلاء هم أعمدة الرابطة وكان إنتاجهم الأدبي مميزا عن غيرهم خلقا وإبداعا .

كان جبران مبدعا فنانا متميزا في كل ما يكتبه واهتم به الكثير من النقاد فقال عنه أدونيس:" وجبران كذلك منخرطا في التاريخ من أجل تغيير الواقع، والحياة والإنسان فهو لا يقول وحسب، بل يعمل كذلك لتحقيق مهمات تاريخية كبرى، فهو في نتاجه يجمع بين إضاءة الحاضر ... وإضاءة المستقبل..."

العصبة الأندلسية:

تأسست العصبة الأندلسية في البرازيل عام 1984م، وقد أطلق على تلك الرابطة لقب العصبة الأندلسية؛ نسبة إلى تأثر شعراءها الكبير بالأدب والشعر الأندلسي وخاصة فن الموشحات. ترأسها الشاعر ميشيل معلوف وداوود شكور نائبا له ثم تعاقب على رئاستها عدد من شعراء المهجر بعد ذلك. ومن أعضاءها نظير زيتون، ويوسف البعيني، وحبيب مسعود وغيرهم. توقفت عن العمل 1954 بسبب موت معظم أعضاءها وخروج آخرين منها لأسباب خاصة.

سمات الشعر المهجري:

1 – النزعة الاجتماعية و الإنسانية:

يقصد بها النظر إلى المجتمع نظرة حب ورحمة، والرغبة في أن يعم الخير على الجميع وأن تنتشر بين الناس المبادئ السامية المبنية على الحب والقيم والفضائل، وأن يظهر مجتمع أفضل إلى حيز الوجود تطبعه الشمائل والفضائل. حيث يقول إيليا أبو ماضي في قصيدته" ابتسم":

قالَ السَماءُ كَئيبَةٌ وَتَجَهَّمـــــا قُلتُ اِبتَسِم يَكفي التَجَهّمُ في السَما
قالَ اللَيالي جَرَّعَتني عَلقَمـــاً قُلتُ اِبتَسِم وَلَئِن جَرَعتَ العَلقَمــا
الَ البَشاشَةُ لَيسَ تُسعِدُ كائِنــاً يَأتي إلى الدُنيا وَيَذهَبُ مُرغَمـــا
قُلتُ اِبتَسِم ما دامَ بَينَكَ وَالرَدى شِبرٌ فَإِنَّكَ بَعدُ لَن تَتَبَسَّمـــــــا

وقال في دعوته إلى المساواة ونبذ الكراهية:

نسي الطين ساعة أنه طــين حقير فصال تيها وعـــــربد
وكسا الخز جســمه فتباهـــى وحوى المال كيسه فتـمــردا
يا أخي لا تمل بوجهك عنــي ما أنا فحمة ولا أنت فـرقــد
لا يكن قلبك للخصــام مــأوى إن قلبي للحب أصبح معــبد
أنا أولى بالحب منك وأحــرى من كساء يبلي ومال ينفـــد

2 ـ الحنين إلى الوطن:

أكثر شعراء المهجر التعبير عن مشاعرهم اتجاه أوطانهم حتى وإن لقوا فيه الظلم والبؤس والجوع، وحققوا النجاح والمال والشرف خارجها إلا أنهم يشعرون بالحنين إليها، ممزوجا بصدق المشاعر والعذوبة والإبداع ومن أمثلته قول الشاعر نسيب عريضة:

يا نفس مالك و الأنين تتألمين ما تقصديـن ؟
عذبت نفسي بالحنـيـن و تكمته ما تقصديـن ؟

3 ـ توظيف الرمز:

الرمز هو أن يتخذ الشاعر من الأشياء الحسية رموزا لشيء ما. فهو يقصد تأدية المعنى عن طريق الأشياء الحسية بدون الإشارة إليه والتصريح به، واهتم شعراء المهجر بالرمز لما من قيمة فنية وموضوعية فهناك من الشعراء من استخدم الرمز اللغوي كاستعمال الليل تعبير عن العبودية أو الفجر للدلالة على الغربة والحرية، أو موضوعيا مثلما هو الحال في قصائد "ايليا أبي ماضي " الرمزية ومنها قصيدة "الحجر الصغير"

كان ذاك الأنين من حجر في السد يشكو المقادر العميـــــــــاء
أيّ شأن يقول في الكون شأنـــي لست شيئا فيه ولست هبـــــاء
لا رخام أنا فأنحت تمثـــــــا لا، ولا صخرة تكون بنـــــاء
لا أنا دمعة ولا أنا عيـــــــن، لست خالا أو وجنة حمـــــراء
حجر أغبر أنا وحقيـــــــــر لا جمالا ، لا حكمة ، لا مضـــاء
فلأغادر هذا الوجود وأمضـــي بسلام ، إني كرهت البقـــــاء

رمزية الحجر لا ترتبط بمكوناته المادية بقدر ما ترتبط بوظيفته مع غيره من الأحجار الأخرى التي إن حافظت على تماسكها فسيصمد السد في وجه السيول الجارفة والرياح العاتية، وإذا حدث العكس كان مآل السد الانهيار فيأتي على الأخضر واليابس لتضيع معه أحلام المدينة البيضاء.

4 ـ عمق الشعور بالطبيعة والتأمل فيها:

مال شعراء المهجر إلى الطبيعة، وفكروا في آيات الله في الكون من الجبال والطيور والتلال والغابات والأشجار والأنهار، فهم يناجون الأزهار ويناغون الطيور. ويعتبرونها أفضل من العيش في القصور وذلك لنسيان ما نزل بهم من الآلام والمصائب والتعبير عن الحنين والشوق إلى وطنهم الأصيل.

أعطني الناي وغـــــن فالغنا سر الوجـــــــــود
وأنين الناي يبقـــــــى بعد أن يفنى الوجـــــــود
هل اتخذت الغاب مثلـي منزلا دون القصـــــــور
فتتبعت السواقـــــــي وتسلقت الصخـــــــور
هل تحممت بعطـــــر وتنشفت بنـــــــــور
وشربت الفجر خمـــرا في كؤوس من أثـــــير
هل جلست العصر مثلي بين جفنات العنـــــــب
والعناقيد تدلـــــــت كثريات الذهـــــــب
هل فرشت العشب ليـلا وتلحفت الفضـــــــــا
هل فرشت العشب ليـلا وتلحفت الفضـــــــــا

جبران يقف هذه الأبيات داعيا إلى حياة الغاب، ويصفها بأجمل الصور التي تتمثل في تتبع السواقي وتسلق الصخور والجلوس بين أشجار العنب وغيرها من الصور الجميلة الخلابة، ويعتبرها أفضل من العيش في القصور، ويرى بأن ساكن الغاب لا يرى سوى يومه فإنه ينسى ما مضى عليه، ولا يهتم بما سيجري في المستقبل.

5 ـ التحرر التام من قيود القديم:

جدد المهجريون في قالب القصيدة وكانت هناك محاولات كثيرة قاموا في هذا الشأن وخروجوا عن نظام القصيدة العربية القائمة على نظام الشطرين باعتمادهم على نظام الأسطر الشعرية كما غيروا في القوافي وأحرف الروي، إذ تغيرت الكثير من ايقاعات الأبيات وذلك ما لاحظناه سابقا في الحديث عن الطبيعة والتأمل فيها ويقول إيليا أبو ماضي خلال اعتماده على نظام الأسطر:

مات النهار ابن الصباح
فلا تقل لي كيف مات
إن التأمل في الحياة يزيد
أوجاع الحياة فدعي الكآبة والأسى
واسترجعي هزج الفتاة

6 ـ الإكثار من استخدام الشكل القصصي في القصيدة:

اتخذ شعراء المهجر النمط القصصي نهجا للتعبير، حتى يساعدهم على تحليل المواقف الشعورية والعواطف الإنسانية، وعلى تجسيد الدلالات والمعاني والأفكار. وهذا ما نلاحظه عند جبران ومطران وإيليا أكثر بكثير في قصيدة "الشاعر والأمة" و" الشاعر والملك"

أمر السلطان بالشاعر يوما فأتـــــاه في كساء حائل الصّبغة واه جانبـــــــــــاه
و حذاء أوشكت تفلت منه قدمـــــــاه قال: صف جاهي، ففي وصفك لي للشعر جـاه

إنّ لي القصر الذي لا تبلغ الطـير ذراه و لي الروض الذي يعبق بالمسك ثـــــــــراه
و لي الجبش الذي ترشح بالموت ظـباه و لي الغابات و الشمذ الرواسي و المـــــــياه
ضحك الشاعر ممّا سمعته أذنـــــــاه و تمنى إنّ يداجي فعصته شفـــــــــــتاه
قال: إني لا أرى كما أنت تـــــــــراه إن ملكي قد طوى ملكك عنّي ومـــــــحـــاه

7 – الميل إلى الحيوية والسهولة والوضوح في اللغة والأساليب:

يرى الشاعر المهجري اللغة وسيلة لأداء المعاني والأفكار والتعبير عما يجول في خاطره من الهواجس، واللغة ليست الغاية في نفسها، لذلك آثروا اللغة الحية والأساليب السلسة والكلمات ذات المعاني الضخمة والتراكيب السهلة، والمثال على ذلك مطلع قصيدة " البلاد المحجوبة " لجبران خليل جبران حيث يقول:

هو ذا الفجر فقومي ننصرف عن ديار ما لنا فيها صديق
ما عسى يرجو نبات يختلـف زهره عن كل ورد وشقيق

8 ـ النزعة التأملية

اتجه أدباء المهجر إلى دخيلة أنفسهم يتأملون فيها فرارا من صخب الحياة وآلامها وأحزانها التي تحاصرهم واستلهموا من الطبيعة ، وتأملوا فيها، وشخصوها للتعبير عن مشاعرهم. يقول إيليا أبو ماضي في قصيدته "الطلاسم".

جئت لا أعلم من أين ولكـــني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت
وسأبقى ماشيا إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟
لست أدري

9 ـ الحرية الدينية:

التقى المهاجرون في بلاد الغربة ومن بلدان مختلفة من سوريا ومصر ولبنان وغيرها تختلف دياناتهم لكنهم كانوا يرفعون التعصب الوطني واللغوي على التعصب الديني والانقسامات القبلية. وهذا سبب إثارة عاطفة جديدة في نفوسهم هي الحرية الدينية، فنرى أن الأدباء المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى يعيشون معا، ويمدح مسيحي منهم دين الإسلام ونبي الرحمة ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما يقول رشيد سليم الخوري:

عيد البرية عيد المولد النبـــوي في المشرقين والمغربين دوي
عيد النبي ابن عبد الله من طلعت شمس الهداية من قرآنه العلوي
بدا من القفر نور للـورى وهدى يا للتمدن عم الكـون من بدوى

10 ـ براعة الوصف والتصوير:

اعتمدت مدرسة المهجر إلى حد كبير على جمال التصوير في الشعر والنثر حتى أصبحت هذة السمة ميزة من ميزات أدبهم الجميلة، تطغى عليها عناصر الرقة واللطف والجمال وتترك في النفس آثارا عميقة، فجمعوا بين العاطفة الجياشة والفكر الموجه وعمق التجربة والخيال، ونطالع في شعر إيليا أبو ماضي صورا كثيرة استمدها من الحياة والطبيعة:

دمية حسناء تغري النظـــــرا أم مالك طاهر فوق الثـــــرى
طفلة ساذجة أطهر مـــــــن زهرة الروض وأنقى جوهــرا
شرفت أصال وطابت عنصـرا وارتقت نفسا، وراقت منظــرا
حملت قلبا أبى أن يحمـــــل الحقد أو يكتم نفسا كـــــــدرا

11 - التمسك بالوحدة العضوية:

اهتم شعراء المهجر بالوحدة العضوية في القصيدة، ويقصد بها الشاعر توحيد الموضوع والأغراض وترتيب الأفكار والصور في بناء متماسك في قصيدة واحدة حتى لا يختلط الأمر، بغض النظر عن الشعراء الجاهليين الذين يأتون في قصيدة واحدة بأفانين عجاب من ذكريات الحبيب والتشبيب والفخر ووصف الناقة والفرس وما إلى ذلك من الأغراض، فتصبح القصيدة كالجسم الحي الواحد الذي يقوم كل جزء فيه المقام المحدد له.

12 - وضوح التعبير وسهولته:

شعر المهجريين تميز برقة ألفاظه وغير متكلف من ناحية العروض واللغة، اعتمد على البساطة والرقة ،" ولم يكن ذلك عن ضعف أو هربا من تكاليف الشعر، فقد رسخ في عقيدتهم أن الشعر فن للحياة، لا تكلف فيه ولا تقليد ... وصح في مذهبهم أن البساطة والرقة والغنائية هي عماد الجمال في الشعر والفن "وهذا ما سهل وصول شعرهم إلى نفوس القراء في الشرق وفي المهجر.

أيار، يا شاعر الشهـــــور وبسمة الحب في الدهــور
وخالق الزهر في الروابـي وخالق العطر في الزهـور
وغاسل الأفق والـــدراري والأرض وبالنور والعبـير
أتيت فالكون مهرجـــــان من اللذات والحـــبـــــور
أيقظت في الأنفس الأمانـي والابتسامات في الثـــغـــور
وكدت تحي الموتى البوالـي وتنبت العشب في الصخـور

13 - الطابع القومي:

تناول شعراء المهجر القضية الفلسطينية لأنها جرح لن يندمل، يحس بها كل من لديه قلب نابض في صدره، عربيا كان أو مسلما. فلم لا يندبها الشاعر المهجري ويبكي على مأساتها على الرغم من أنه عربي ولديه قلب خافق عربي. يقول الشتعر نصر سمعان:

يا فلسطين قدستك الضحـايا وكساك الخلود أسنى بروده
أنت في معزف الحياة نشيد لا تمل الحـــياة من ترديده

يمكننا القول أن الشعر المهجري كان له فضل كبير على الإبداع الشعري العربي المعاصر بحيث فتح الطريق واسعا أمام النزعة التحررية في شكل القصيدة العربية ومضمونها.